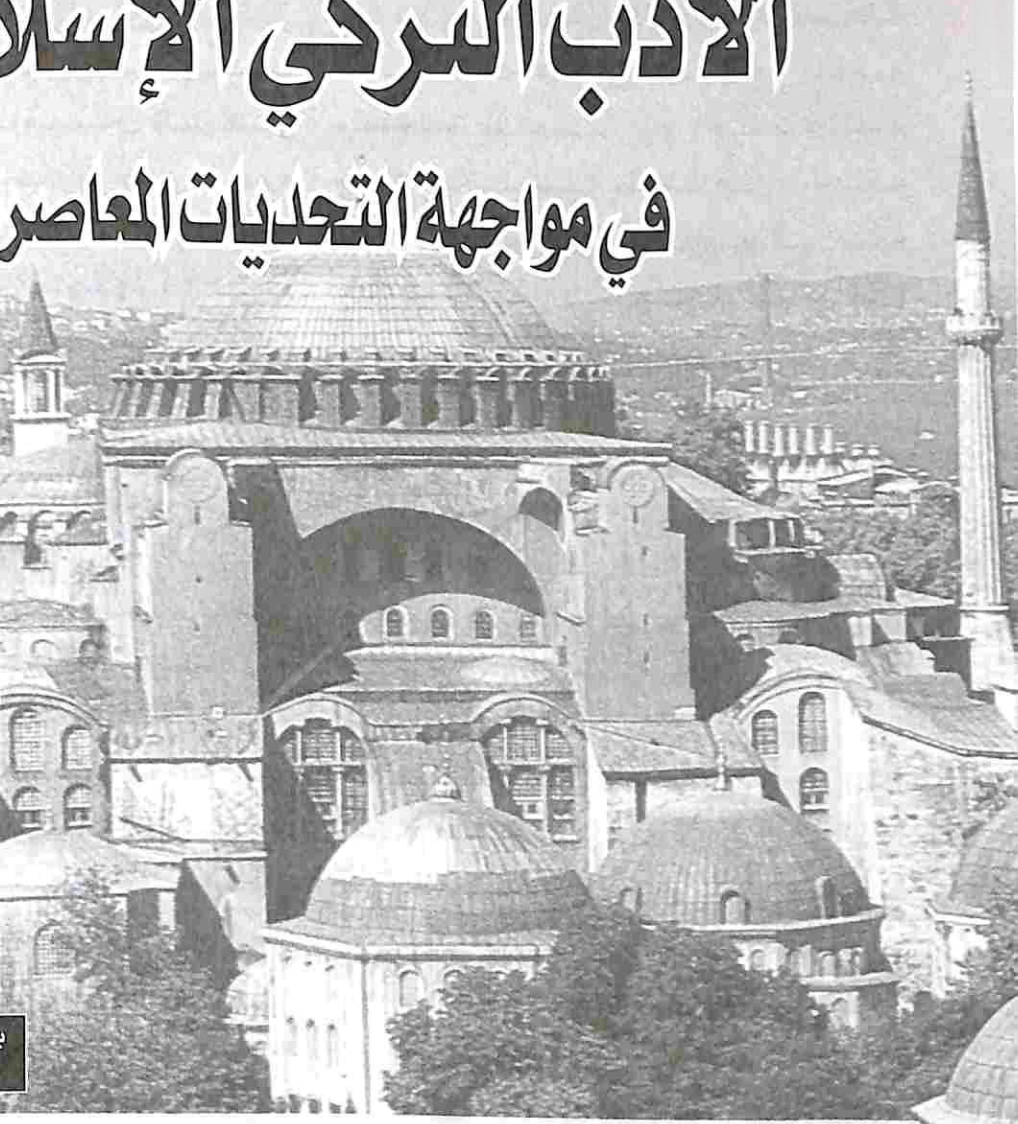

الأدب التركي الإسلامي

في مواجهة التحديات المعاصرة

بقلم: أمين سليمان الستيتي*
الأردن

صدر كتاب الأدب التركي الإسلامي من مركز البحوث في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في سلسلة الدراسات والبحوث عن آداب الشعوب الإسلامية المكتوبة بغير اللغة العربية ؛ لتحقيق التعريف بآداب الشعوب الإسلامية وموضوعاتها، وأعلامها، والتركيز على الروابط الفكرية، ووحدة المنبع والهدف، والدعوة إلى التضامن بين الشعوب الإسلامية، وعودتها إلى المنابع الأصيلة في ثقافتها الإسلامية العريقة، وتعريف أدباء العربية بإخوانهم المبدعين في لغات الشعوب الإسلامية غير العربية ؛ ليفتح أمامهم أبواب التأثير والتأثر ؛ ويساعد على القيام بدراسات جادة في ميادين الأدب المقارن.

* موجه بالتعليم الأهلي، وزارة التربية والتعليم، السعودية.

وقد ألفه الدكتور محمد عبد اللطيف هريدي، الذي حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أنقرة في اللغة التركية وآدابها عام ١٩٧٧ م. وهو أستاذ الأدب التركي بجامة عين شمس في القاهرة، كما عمل أستاذا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

وقدم للكتاب معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مدير جامعة الإمام سابقا.

أما مقدمة المؤلف، فقد تضمنت أسس بحثه، وتعريفا مختصرا بالنتائج التي ستوصله الدراسة إليها، حيث يرى أن آداب الشعوب الإسلامية انصهرت في بوتقة واحدة، عربا وعجما وأتراكا، وأصبح الإسلام وجدانها الجمعي، وصار أدبها معبرا عن عواطف المسلمين، وآمالهم وآلامهم على مر السنين.

ويعرف الأدب التركي الإسلامي في ست نقاط، بأنه: الأدب المنتمي إلى بيئة إسلامية، والملتزم بقواعد الإسلام وأحكامه، والذي يعبر عن عواطف المسلمين تجاه الله - سبحانه وتعالى، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته رضوان الله عليهم. والذي يحض المسلمين على التمسك بالخلق القويم، وأهداف الدين، شارحا تعاليمه، ويتغنى بمآثر المسلمين التاريخية والحضارية، ويدعوهم إلى المزيد، ويبكي ما فقدوه، ويدفعهم لاسترداده، والذي يصور فتوحات الأولين، ويبث الحماسة بينهم بأناشيد الحرب، ليحثهم على الوقوف في وجه الهجمات الصليبية الحديثة، بأشكالها المتعددة، الفكرية والسياسية، والعسكرية ، إلخ. والذي عبر عن أزمة المسلم المعاصر القابض على دينه، المتألم لاغترابه بين ذويه، والذي رأى أن الإسلام هو الحل الحقيقي لكل ما يلاقيه المسلمون اليوم من المآسي في كل اتجاه، شعرا ونثرا.

انطلق بعدها في مدخل الكتاب ليعرف بالقبائل التركية قبل الإسلام، والدول التي كونتها.

وبين أصل اللغة التركية، وأنها تنتمي إلى مجموعة لغات تسمى (أورال آلتاي) أو اللغات الإلصاقية، وكانت غير مكتوبة، وأول كتابة لها هي كتابة (أورجون)، والتي هجرها الأتراك إلى الكتابة الصغدية، وكانت لأهل الديانة المانوية، واستمرت حتى القرن السادس الهجري، العاشر الميلادي، حيث سادت الحروف العربية إلى أن غيرها مصطفى كمال أتاتورك إلى الحروف اللاتينية سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٨ م.

بدأت اللغة التركية خشنة المخارج، ثم لانت بالاختلاط بالأمم الإسلامية عربا، وفرسا، وانقسمت إلى تركية شرقية وأخرى غربية، وهي التي تنتمي إليها اللغة التركية العثمانية. كما ظلت الكلمات العربية والفارسية غالبة عليها حتى جرى التخفيف منها أوائل القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

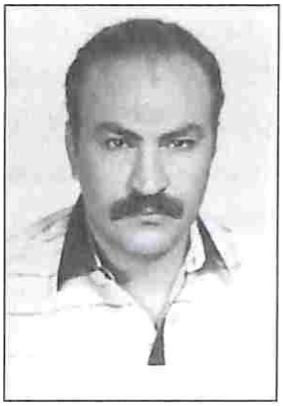

محمد عبداللطيف هريدي

نشأة الأدب التركي الإسلامي

انطلق بعدها إلى بحثه ليجعله في خمسة أبواب، أولها: (نشأة الأدب التركي الإسلامي)، وقسمه إلى خمسة فصول، تحدث في الفصل الأول عن (تمثل الترك للحضارة الإسلامية)، وأن الإسلام أثر في نفوسهم أكثر من الديانات التي سبق أن اعتنقوها، وكان الطابع الإسلامي غالبا على عمارتهم بما يتناسب مع حاجات المرافق المعمارية، كالمآذن، وأماكن الطهارة، وما يناسب الدارسين في دور العلم، رغم وجود النمط البيزنطي للعمارة، كما كان أثر العلماء العرب في المدارس النظامية في الجنوب، وأثر العلماء الفرس في الشرق، حيث تمازجت الثقافتان في بوتقة إسلامية، قطف ثمارها الأتراك.

وقد ظهر أثر الإسلام في باكورة إنتاجهم الأدبي بعد أن تأرجحوا بين الثقافات الصينية والفارسية وغيرها، فجعل للعربية الأثر الأكبر، وأوضح ما كان ذلك في كتاب (قوتاد بيليك) أي (السعادة)، بمقدمته الإسلامية، التي تبدأ بالحمد لله والثناء عليه، والصلاة والسلام على نبيه، ويلتزم أوزان الشعر العربي، في كل أشعاره، والتي تقارب سبعة الآلاف بيت، تبين السعادة من خلال أحكام الإسلام، وتطبيقها، والتمسك بها، والعمل للآخرة، دون أن تنسى الدنيا، مع دعوة الحكام إلى التمسك بالفضيلة، والابتعاد عن الرذيلة.

والكتاب الثاني: (عتبة الحقائق) ومؤلفه الأديب (أحمد اليوكانكي)، الذي أهداه لأحد الحكام الأتراك الشرقيين، وهو (محمود داد) في القرن السادس الهجري. ويستشهد هنا بقول

الناقد الأدبي (نهاد سامي) أن الأدب التركي في هذه الفترة: (عبّر عن قيم ومفاهيم جديدة تقوم على الخلق الإسلامي، ومن ثم أصبح الأدب التركي كفؤا لأن يشارك الأدب العربي والفارسي في البيئة الجديدة).

وجمع في الفصل الثاني (**المصادر الإسلامية للأدب التركي العثماني**)، وثبت أنها كانت على التوالي:

١ - القرآن الكريم، وترجمته الحرفية، التي أغنت اللغة التركية بالمفردات، والترجمة على شكل فقرات، والتي أغنت اللغة التركية بالمعاني، وقد اقتبس الأدباء الأتراك، ورصعوا أشعارهم بألفاظ القرآن الكريم، كما ورد ذلك (ص ٢٩ وما بعدها).

٢ - السيرة النبوية الشريفة، وحبهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - دفعهم إلى كتابة سيرته باللغة التركية في القرن الثامن الهجري، على يد (يوسف بن مصطفى بن عمرو) المعروف بـ (قاضي ضرير).

٣ - المعاهد العلمية، والتي انتشرت في أرجاء الأناضول، وبقية أنحاء بلاد الترك، لتعلم القرآن والسنة واللغة العربية، والتركية، والفارسية، وتشكل دعائم وأسس الثقافة التركية العثمانية وأسسها.

٤ - انتشار الزهد والطرق الصوفية، وما نتج عنها من أدبها، أو الأدب المقاوم لانحرافاتها، خاصة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، على يد ابن كمال باشا، وأبو السعود أفندي، ثم تلاميذ الشيخ محمد أفندي البركوي المتوفى سنة ٩٨١هـ، ثم اتباع محمد أفندي قاضي زادة، المتوفى سنة ١٠٤٥ هـ.

٥ - البطولات الإسلامية، وسير الأبطال من الصحابة مثل: (حمزة، وعلي، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم)، وقد نقل ذلك من دائرة المعارف الإسلامية، وأثبته في كتابه (ص ٣٨).

٦ - الأدب العربي وفنونه، حيث تأثروا بالعربية والفارسية، كأدبين ناضجين،وتأثير العربية واضح في الفارسية، ومقارنة القصائد التركية بالعربية تدل على مدى تأثرهم بنهج القصيدة العربية، من المطلع إلى بقية أجزاء القصيدة، إضافة إلى الأوزان والقوافي، ثم أنواع الشعر وأغراضه، كالمسمط، والمثنوي، والغزل، خاصة الموشحات الأندلسية ؛ مما جعل الشعراء الترك يميلون إلى استعمال كثير من الألفاظ العربية والفارسية، والتي ساعدتهم على تطبيق الأوزان الشعرية في لغتهم التي تفتقر إلى المدود اللفظية.

وظل شعراء الترك متمسكين بالأوزان العربية رغم دعوات التجديد، والقومية، وما زال أعظم شعرائهم يتمسك بها حتى اليوم، مثل: أحمد هاشم، ومحمد عاكف، ويحيى كمال بياتلي، وعاكف إينان، كما ورد ذلك في الكتاب (ص ٤٠ - ٤٣).

وكتب في الفصل الثاني عن (**باكورة إنتاج الأدب التركي العثماني**)، وركز على كتاب (الشقائق النعمانية)، لـ (طاش كبري زاده) المتوفى سنة ٩٦٨هـ لبيان حجم الحركة العلمية في الأناضول، والتواصل الذي كان مع الحجاز ومصر والشام وغيرها من الحواضر الإسلامية، وتحدث في (ص ٤٤) وما بعدها عن سير بعض الأعلام، كالفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب) المتوفى ٨١٧ هـ، وسيرة الشيخ (محمد بن محمد الجزري) المتوفى سنة ٨٣٣ هـ، وسيرة الشيخ (محمد بن حمزة الفناري) المتوفى سنة ٨٣٤ هـ، وبين مدى اهتمام الأتراك بالعلماء، واهتمام الحكام كذلك بهم، وإكرامهم بالمال والمناصب، كالقضاء. ويقسم الأدب في هذه الفترة إلى الموضوعات التالية:

محمد عاكف إينان

أ- السيرة المشرفة. ب - الزهد والحكمة. ج - الدروس التاريخية. د - الفتوحات العثمانية. هـ - التأريخ من منظور إسلامي. و - أدب الحماسة. كما ورد ذلك (ص ٤٥ - ٤٦ وما بعدها).

وثبت نبذة عن ثلاثة من شعراء القرنين الثامن والتاسع الهجريين، هم (أحمدي ٧٣٥ -٨١٦هـ) و (القاضي برهان الدين ٧٤٥ -٨٠١ هـ) وأحمد داعي، الذي عاصرهما كذلك، وعرض بعض شعرهم، وترجمته النثرية، التي نقلت معانيه ودلالاته المرتبطة بالإسلام، والمنطلقة منه، مع أنها أفقدته جرسه الموسيقي.

وجعل الفصل الرابع لـ (**الشعر والموضوعات الدينية**) في قرابة الخمس عشرة صفحة، تحدث خلالها عن نظم الشعراء الترك للسيرة النبوية المشرفة، وقصة المولد، وقد ترجمها إلى العربية أ. د.حسين مجيب المصري، على شكلها المثنوي (المزدوج)، والمحمدية، وفيها قصة الرسول - صلى

الله عليه وسلم، والصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين -. كذلك شعر المناجاة والنعت، الذي يبدأ بمنظومة التوحيد، والصلاة على النبي - عليه الصلاة والسلام -، ثم بقية الأغراض، خاصة مدح الفاتحين، والأخلاق الإسلامية. وختم هذا الفصل بالإشارة إلى الذين أخذوا يترجمون من آداب الفرس والعرب في نهاية القرن العاشر الهجري.

وجاء الفصل الخامس بعنوان (**النثر الفني في القرن التاسع الهجري**): (ص ٦٦ - ٧١)، وأكد فيه تأثُّر هذا الفن بالقرآن الكريم منذ ظهوره منتصف القرن التاسع عشر الهجري، وكان أول روّاده (سنان باشا) ٨٤٤ هـ - ٨٩١ هـ، وجاءت سيرته منقولة عن صاحب الشقائق النعمانية، ووضح ميزات أسلوبه كميزات للنثر الفني التركي، وأهمها: (جزالة اللفظ، وحسن اختياره، وغلبة الكلمات العربية على الفارسية والتركية، مما زاد من رصانة الأسلوب، وقد لجأ الكاتب إلى الأسجاع المتوالية و... ولا شك أن ذلك أثر قرآني عربي).

وظهر أدب التاريخ، وأوّل كتاب كان (تاريخ أبي الفتح) لطورسون بك، يتحدث فيه عن الوقائع التي عاشها شخصيًّا فيما بين ٨٦٤ - ٨٩٤ هـ، ومعه: عاشق باشا، وعلي بك يازيجي أوغلي. وقد تناول محمد نشري أفندي تاريخ آل عثمان في كتابه: (جهان نامة)، وفصّل في ذكر جزئيات الحوادث بأسلوب أدبي. ومعاصره: أوري، صاحب كتاب: (دستورنامة) ٨٦٩ هـ، الذي أكد وحدة التاريخ الإسلامي، وأن تاريخ آل عثمان فصل من فصوله. وبذلك يختم الباب الأول.

الأدب التركي العثماني في موكب الحضارة الإسلامية

أما الباب الثاني فجاء عنوانه: (الأدب التركي العثماني في موكب الحضارة الإسلامية خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين) وقسمه خمسة فصول، تحدث في الأول منها عن (**تطور المعالجة الفنية في القرن العاشر الهجري**)، ووضح أثر القوة العسكرية والسياسية في ازدهار العلم والأدب، عامة، والعمارة خاصة، كأهم آثار ذلك القرن، الذي كان أشهر معمارييه: (سنان ٩٩٦ هـ)، الذي شيَّد عددا من المساجد بطابعها الإسلامي، كمسجد: السليمانية في إستانبول، وغيره من المساجد، واللوحات القرآنية بالخط العربي.

كذلك وقف عند (نشاط الحركة العلمية)، وأن أشهر حلقاتها كانت المساجد، وانتشر العلم التطبيقي، كالمعمار، والطب، والجغرافيا، إلى جانب العلوم الدينية، فازداد عدد المدارس، دينية وغير دينية، في نقله عن كتاب (الشقائق النعمانية). وساق أسبابا لتطور الأدب التركي، شبيهة بتلك التي تعود المؤرخون الأدبيون سوْقها للأدب الأموي، خاصة: رعاية السلطان للشعراء، وتوفر الرخاء والعطاءات، وشيوع الغزل، مع المحافظة على المحمديات، والحماسيات. وأهم الشعراء: (فضولي البغدادي ت ٩٦٤ هـ، وذاتي ٨٧٦ - ٩٥٣ هـ).

ويعتبر هذا العصر في الفصل الثاني العصر الذهبي، ويبين فيه (**أثر الفتوحات الإسلامية**) على الشعر، رغم قلته، وسيطرة الأثر الفارسي لغة ومعاني، وتركزت أغراضه في مدح السلاطين الفاتحين، ووصف بطولاتهم وانتصاراتهم، وأثر العمارة والحضارة الإسلامية على الشعر، وازدهار غرض الوصف، خاصة وصف المدن، وما فازت به إستانبول منه، ولم يتخلف الشعر (عن مسيرة الدولة العثمانية، سواء في حربها، أو سلمها، فرأيناه يعبر ولو بقَدَر عن انتصاراتها العسكرية في ميدان الجهاد، ثم رأيناه يتغنى بما أصاب الحياة من ازدهار حضاري، سواء في الجانب المادي، من عمارة وفنون، أو الجانب المعنوي، من التقدم العلمي والأدبي).

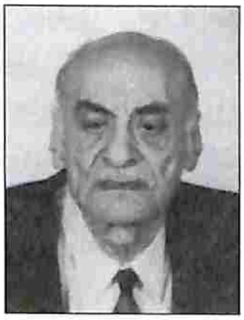

د. حسين مجيب المصري

وخص الفصل الثالث (**بالنثر الفني في القرن العاشر الهجري**)، فقد واكبت الحركة العلمية كل جوانب الحياة، وظهر التيار السلفي بسبب استفحال خطر غلاة الصوفية، وتحالفهم مع الباطنية والرافضة، وانتشار التشيع في الأناضول، وإحساس السلاطين بمسؤولياتهم إزاء ذلك، إضافة إلى البذخ، والجري وراء الملذات.

ويذكر من علماء هذه الفترة: (محمد أفندي البركوي ت ٩٨١ هـ)، الذي ضمن آراءه الفقهية في كتابه: (وصيتنامة). كذلك: ابن كمال باشا، صاحب الرسائل اللغوية والفقهية المتعددة، وأبو السعود أفندي، صاحب التفسير المعروف باسمه، والذي عاش بين سنتي ٨٩٦ - ٩٦٥ هـ . وقينالي زاده علي أفندي ٩٦١ - ٩٧٩ هـ، والذي لمع نجمه بعد وفاة أبي السعود، ومنهم مصطفى عالي الكليبولي ٩٤٨ - ١٠٠٩ هـ، والشاعر فضولي البغدادي.

وجعل عنوان الفصل الرابع: (**المنعطف الحضاري إلى الغرب**

ودور الأدب الإسلامي)، وعرض فيه انتقال الدولة العثمانية إلى موقف الدفاع، وقد بدأ الضعف العسكري والسياسي، وانقلبت الامتيازات الاقتصادية إلى وبال، وظهر الضعف في كل مجالات الحياة الاقتصادية والإدارية. وتراكمت ديون الدولة، وبقيت عبئًا على الكاهل، حتى بعد إلغاء السلطنة. كما برز أن بناء جيش حديث يمكن أن يتم بالاستعانة بالأوروبيين، وحمل بعض السلاطين هذه الفكرة، وثبت خطؤها بما ظهر من نتائج عسكرية واقتصادية وسياسية، و... غيرها. وأدى ذلك إلى نتائج غير متوازنة، ودون أساس، حيث ارتفعت صورة الأوروبي في أذهان أدعياء الثقافة، وجعلوا الثقافة الأوروبية نموذجًا يحتذى، وبدأ تأثيرها على كل جوانب الحياة الثقافية، ورغم ذلك ظل السلاطين يميلون إلى البذخ والإسراف، وإظهار علامات الرفاه، حتى سمي القرن الثاني عشر الهجري: (عصر اللالة) أي شقائق النعمان، التي زينت شوارع إستانبول، وحدائق القصور فيها، وظل الشعراء يعيشون هذا الرفاه، ويصفون مظاهره، ومصطنعيه، كالشاعر نديم ١٠٩١ هـ - ١١٤١ هـ. وقابل ذلك اتجاه مثَّل الشكوى من الدهر، والتي تحولت إلى هجاء عند (نفعي) ٩٨٠ هـ - ١٠٤٥ هـ، وظل الاتجاه الديني في الشعر يدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والسعي وراء المعاني الصوفية، على يد: (غالب دده) ١١٧١ - ١٢١٤ هـ، الذي عرض كثيرا من آرائه القفهية شعرًا، ومعها وصفه لرحلة الحج، والمناسبات الدينية، إضافة إلى الشعر التعليمي، كما في شعر (إسحق الزنجاني ١٠٩٠ هـ. كما برز في النثر أدب الرحلات، والأعمال الموسوعية، وفن كتابة السيرة النبوية المشرفة.

والفصل الخامس حوى (**شعر المناسبات الدينية**)، كالرمضانيات، والعيديات، بما فيها من جد وهزل، ومال كثير من الشعراء إلى ترجمة المدائح النبوية، كترجمة الشاعر: (سنبل زاده وهبي ت ١٢٢٤ هـ) لقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)، وقصيدة (البردة) للبوصيري.

وكان الفصل السادس لـ (**أدب الرحلات**)، وجعل مقدمته توضيحًا للجانب الإيجابي للهزائم، والذي رآه في إعمال الفكر أثناء البحث عن طريق الخلاص. مما جعل الأدب التركي في القرن الحادي عشر يحفل بالأعمال الفكرية، التي ساعد على نموها استنساخ الكتب العربية والفارسية، وكذلك ظهور وازدهار أدب الرحلات. ومن أشهر أدباء الترك في هذا القرن: (كاتب جلبي ١٠١٧- ١٠٦٧ هـ) واسمه ك ٠ عبد الله بن مصطفى وهو من الكتاب الذين تمسكوا بمذهب أهل السنة والجماعة، وحاربوا الانحرافات التي كان يحاول نشرها أصحاب المذاهب المنحرفة. وعاصره: (أوليا جلبي ١٠٢٠ - ١٠٩٤ هـ)، والذي اشتهر بأدب الرحلات، خاصة رحلته إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج.

واختتم هذا الباب مقررًا أن الأدب التركي لصيق بالأمة الإسلامية، وقد أصابه ما أصابها من حيث المعالجة الفنية للموضوعات التقليدية، أو من حيث استيعابه لموضوعات جديدة، وكيف أصبح الأديب ناصحًا لأمته، وحكيما لأمراضها، حين رآها تتهاوى. وكيف عبرَّ عن القلق والخوف من اتجاهها إلى حضارة غربية وغريبة عنها شكلا ومضمونا.

الصراع الحضاري بين الشرق والغرب على صفحة الأدب

أما الباب الثالث، فعنوانه: (الصراع الحضاري بين الشرق والغرب على صفحة الأدب)، وقد جعله في أربعة فصول. أولها: (**جهود الإصلاح بين المبادئ الإسلامية والتغريب**)، ووضح فيه تعاظم الرغبة في الإصلاح عند السلاطين دون أن تكون الطريق واضحة المعالم أمامهم، فساروا على غير هدى، وأصدروا المرسوم تلو المرسوم، معتمدين على القوانين الغربية، والتي كان يصوغها لهم كبار موظفيهم، الذين تأثروا بالغرب دراسة وحياة، مثل: (رشيد باشا ت ١٠٧٥ هـ)، والذي اتهم كل من عارض مرسومه بالرجعية، والعشوائية، والتردد، وأنهم يمثلون العقبة الكؤود أمام الإصلاح. وصار يزين للسلطان كيفية استمالة قلوب الجماهير بصياغة المرسوم صياغة توحي بأن أصوله إسلامية. في الوقت الذي يكون فيه وفقا لرغبات الدول الغربية؛ ليحصل على تأييدها. وهذا الأمر الذي لم يدع أحدًا من الرعية الواعية يرضى عن مثله، خاصة وأن هذه المراسيم سمحت لكل دولة نصرانية برعاية مصالح الفئة التابعة لها من رعية الدولة العثمانية.

واحتج المثقفون المسلمون على كل مظاهر التغريب التي بدأت تظهر على جوانب الحياة، ومجالاتها، والتي وصفت بالتفرنج، ودعمها بعض السلاطين، مثل (السلطان عبد المجيد) في تنظيم أعمال الوزراء، واللقاء بهم، وإلقاء الكلمات المنبرية، على الطريقة البرلمانية الأوروبية، وإظهار الانبهار بكل ما يتعلق بالغرب.

وجاء الفصل الثاني بعنوان (**الأدب التركي بين الأصالة والتغريب**)، وقد ناقش فيه الصراع الظاهر بين الثقافتين الفارسية والعربية، بجذورها الإسلامية من جهة، والثقافة الغربية الزاحفة من جهة أخرى. ومع أن لواء دعاة التجديد هو

الخفاق، غير أنهم لم يتمكنوا من الابتعاد عن جذورهم الشرقية : لأنها جذور روحية دينية، ممتدة عبر القرون الخوالي، مما جعلهم يعيشون ازدواجية الانتماء والتقليد، الذي سموه التجديد. واعتبر (الكتابات النقدية التي نشرها كل من: ضياء باشا، ونامق كمال، منهاجا لجيل لاحق بهم، إلا أن المبالغة في تقويم الأعمال الغربية في هذه الكتابات جعلت الأجيال التالية تنغمس في التقليد، وتنأى عن الأصالة). (ص ١٥٢).

وكتب في الفصل الثالث عن (**الموضوعات الدينية في أدب التنظيمات**)، حيث سبر إنتاجهم الأدبي فوجد (شناسي) يناجي ربه ليعبر عن عجز العقل البشري عن حدود الخلق، والإبداع الإلهي، وحيرة المخلوق في عظمة الخالق – سبحانه - : ليصل إلى إعلان التوبة، والتمسك بالاستقامة، والأخلاق الإسلامية، وهنا يعرض ترجمة نثرية لنصوص شعرية، يركز فيها على أقرب المعاني، ليتابع نزول الشاعر من الحديث عن عظمة الله – عز وجل – في خلق السماوات والأجرام، على أوضاع الناس على الأرض، في أبيات يتحول الشاعر فيها إلى الشكوى من أوضاع الناس في زمانه، ويحوم حول قول الشاعر العربي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ويظهر بعدها فكرة الوحدة الإسلامية تحت الراية العثمانية، والتي رفع لواءها السلطان (محمود)، وحاول أن يساوي بين حقوق الرعية، بعيدا عن الدين أو المذهب، وتبعه السلطان (عبد العزيز)، الذي صب جل اهتمامه على هذه الوحدة، وأرسل الدعاة إلى أرجاء البلاد. وقد عالج الأدباء هذه الفكرة في أعمالهم الروائية، مثل (نامق كمال) الذي كتب رواية (جزمي سنة ١٢٨٩ هـ ١٨٨٠ م، معلنا عن آماله في وحدة القوميتين الفارسية والتركية على مذهب أهل السنة والجماعة، إذا انتشر في صفوف الفرس، من خلال تصويره لعلاقة الغرام بين بطل مسلم تركي هو (جزمي وفتاة في قصر الشاه. وأظهر في مسرحية (خوارزمشاه) كفاح الخوارزميين ضد المغول، والتي أصدرها سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م، ليبرز جهادهم في سبيل جمع كلمة المسلمين.

بينما رأى (عبد الحق حامد) في كتابة المسرحيات التاريخية التي تستعرض بطولات المسلمين تعويضًا نفسيًا عما يتذوقونه من الهزائم في هذا العصر، وحثًا لهم على استعادة مكانتهم. وانبرى يرد على هجمات المستشرقين، واتهاماتهم للإسلام، وأظهر بطلان ذلك. ومع أن الشاعر تقلبت أوضاعه بين الغنى والفقر، والقبول لدى السلطان أو السخط، لكنه ظل يرفع راية الدفاع عن الإسلام والوحدة الإسلامية في كل أحواله وكتاباته.

ويثبت أيضا أن من مظاهر الدعوة إلى الوحدة الإسلامية: اهتمام الأدباء الأتراك بقصص الأنبياء، والتاريخ الإسلامي، ويعرض ممثلا لهذا التيار (جودت باشا ١٢٣٨ - ١٣١٣ هـ)، ويذكر من مؤلفاته: (تاريخ جودت، قصص أنبيا وتاريخ خلفا، ترجمة مقدمة ابن خلدون، مجلة أحكام عدلية...) وهو الأديب الذي أكد أن الدولة العثمانية تعيش مرحلة الكهولة، ولن تجدي كل النظم الغربية في إصلاحها، بل ستسرع في نهايتها.

وجاء الفصل الرابع عن (**القصة وحماية القيم الإسلامية**)، ووضح فيه أنه رغم اختلاف مواقف الأدباء والمثقفين الأتراك تجاه الاقتباس من الغرب في مجال السياسة والاقتصاد والعلم والصناعة وغيرها، فقد اتفقت في رفض تسرب المفاهيم والقيم الاجتماعية الغربية، وتخلق المسلم بأخلاقهم. وقد ساد سخط شديد على المتفرنجين في الكتابات الأدبية، وظهرت دعوة واضحة للمسلمين إلى الاحتماء بقيمهم الإسلامية. واعتبر (أحمد مدحت أفندي ١٨٤٤ - ١٩١٣ م) ممثلا للأدب التركي في هذا المجال، حيث قصصه الأولى: (لطاييف روايات) وروايته الأولى: (حسن ملاح)، ورده على المستشرقين في كتابه (مدافعة)، والذي بين فيه أن القرآن الكريم يدعو إلى التفكير والتدبر في شؤون الخلق، ولا تعارض بينه وبين الحقائق العلمية) (ص ١٦٩ وما بعدها). وكانت قصصه ردًا على جل الافتراءات التي حاول المستشرقون تشويه الإسلام من خلالها: كحقوق المرأة، وتعدد الزوجات، والرقيق

في الإسلام. وقد حظيت شخصية المتفرنجين بالاهتمام لدى (أحمد مدحت أفندي) وغيره من الأدباء، وبينوا ما فيها من الخزايا، وخيانة شخصية المسلم المتمسك بدينه. وتطورت معالجة هذه اللوحة في أدب (حسين رحمي كورنار ١٢٨١ – ١٣٦٤ هـ) وكذلك عند (يعقوب قدري ١٣٠٧ -١٣٩٤ هـ) في رواياتهما التي أكدت رفض المجتمع التركي للتقاليد الغربية رفضًا قاطعًا.

الحل الإسلامي

وعنوان الباب الرابع (الحل الإسلامي)، وأدرج تحته أربعة فصول، كان أولها: (**سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية**) بين فيه حرص السلطان على الإصلاح، لكن التنظيمات التركية، والتي دخلتها الماسونية منعته من تحقيق ما يصبو إليه. ويسوق ما كتبه المؤرخ الإنجليزي (برنارد لويس): (... ولكن سكاليري - وهو يوناني الأصل- ورفاقه الماسونيين لم يقفوا عند هذا الحد، إذ تسلم السلطان عبد الحميد تقريرا مفاده أن هناك محاولات تجري للتأثير على الامبراطور (ويلهلم) الألماني، وأمير (ويلز) الإنجليزي ليؤثروا بدورهما على سفيري ألمانيا وإنجلترا في إستانبول، ليتحركا لصالح السلطان مراد). وهذا تدخل واضح ليس في شؤون السلطنة الداخلية، بل في شؤون القصر السلطاني.

وتحدث في الفصل الثاني عن (**تلاطم التيارات الفكرية والسياسية قبيل الحرب العالمية الأولى**).

واتضح أن برنامج دعاة العصرية لا يقف عند حد أخذ التقنية والعلوم، بل ينادي بتغريب الحياة الاجتماعية، والتخلي عن مبادئ الدين، ويدعو إلى العلمانية بصورة أو بأخرى. وقد تجلى ذلك بما جاءت به الثورة الكمالية، وظهر أثر ذلك على الأدب فيما عرف بمدرسة (ثروت فنون)، والتي كان رائدها الشاعر: (توفيق فكري ١٢٨٤ -١٣٣٤ هـ) الذي طالب بالتخلي عن الأشكال التقليدية للشعر التركي: ليصبح كالشعر الحر الفرنسي، وظهر تقديسه الأدب الغربي عامة، والمدارس الفرنسية خاصة: الطبيعية والرومنسية، واقتبس منها الصورة الغربية، التي اضطرته للبحث عن تراكيب وألفاظ غير متوافرة في اللغة التركية مما جعل شعره غير مقبول لدى الغالبية.

وقام المتمسكون بأصالتهم بمواجهة هذا التيار، مثل: (معلم ناجي ١٢٦٧ – ١٣١١ هـ)، وأحمد مدحت أفندي، وبينوا أساليبهم المتكلفة، ولغتهم غير المفهومة، ووصفوهم بـ (الغامضين)، لكن تيار التغريب كان أقوى، فما لبث أن ظهرت جماعة أخرى حلت محل (ثروت فنون)، أطلقت على نفسها: (فجرآتي) ١٣٢٦ هـ، وكانت أكثر إيغالا في الاتجاه إلى الآداب الغربية، شكلا ومضمونا. (ص١٩٠ – ١٩٢).

وظهرت الدعوة الطورانية على يد (ضيا كوك ألب ١٢٩٣ -١٢٤٣هـ) الذي أصبح عضوا في جمعية الاتحاد والترقي، التي أدرك كثير من منسوبيها خطأ أفكارهم، بعد فوات الأوان، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وقد تخلى كثير منهم عن تلك الأفكار المزيفة الباطلة، كما ظهر ذلك في كتاب (التركية والإسلامية والعصرنة) الذي تخلى فيه ضيا كوك ألب عن طورانيته، ونادى بحصر العصرنة في العلوم والتقنية.

وهناك أدباء لم يروا تعارضا بين القومية والدين، كالشاعر: (محمد أمين يورد أقول ١٢٨٦ – ١٣٦٤ هـ) ويترجم له قوله: (أنا تركي عظيم الدين والعنصر) (ص١٩٦).

محمد عاكف آرصوي

واقتصر الفصل الثالث على (**دراسة شعر الداعية: محمد عاكف**) الذي حمل ثقافة دينية نقية، ملتزمة بالقرآن والسنة، وأثبت لأدبه ميزتين، هما: صدق العاطفة والقدرة الفنية (الموهبة)، والبعد عن التكلف والصنعة، ساعده على ذلك ثقافته اللغوية الواسعة، واللغات الأربع التي يتقنها: العربية والفارسية والفرنسية إضافة إلى التركية، والتركية لغته الأم. مع مساعدة والده الذي دأب على تعليمه في المدرسة والبيت، إلى أن تخرج من كلية الطب البيطري، فجمع الثقافة الطبعية مع الثقافة اللغوية، مع الموهبة، وبدأ نشر باكورة إنتاجه الأدبي في أول ديوان له: (حديث إلى القرآن)، كتاب الله الذي يرى فيه نبراس الحياة. وكان عظماء المسلمين وعلماؤهم أدلاء له، كمحمد عبده ١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ، وأفكاره الإصلاحية، وقد اهتم بمشكلات المسلمين، وعمل على تيسير الحلول المناسبة لها، من خلال الكتب التي ترجمها لها لتساعد المسلم في حياته اليومية، خاصة في الردود على الكفرة، مثل: (الرد على هانوتو) لمحمد عبده، و (الرد على الكنيسة الإنجلوكية) للشيخ عبد العزيز جاويش. وترجم عن الفرنسية: (التشكيلات السياسية في الإسلام) لسعيد حليم باشا، واتصل بمعظم الزعماء المسلمين، وقرأ لمحمد إقبال، الذي نقل له أشعار جلال الدين الرومي. إضافة إلى رحلاته التي كان من أهمها: رحلته إلى برلين للتعرف

على أحوال الأسرى المسلمين، ورحلته إلى الحجاز في وساطة مع ابن الرشيد أمير حائل. ويصف انطباعاته عن المدينة المنورة، وكان قد زار بلاد التركستان، وحاضرتها طشقند التي لم تعد تنجب العلماء. وواضح أنه معجب باليابان التي لم تنجرف وراء التقليد، وتمسكت بفضائلها التي لا ينقصها عن الإسلام سوى كلمة التوحيد.

وتحدث في الفصل الرابع عن (**خصائص شعر الدعوة عند محمد عاكف**)، الذي كان يرى أن المجتمع الإسلامي يمتلك كل مقومات الحضارة، ولكنه لن يتمكن من النهوض إلا بالثقة بالنفس، والوحدة أمام قوى الاستعمار، وأنه لا بد من التمسك بالدين الحنيف، كما نزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهو بذلك من دعاة السلفية النجدية، والسنوسية، والمهدية، في محاربتهم للبدع والفساد. ونادى بالقضاء على مؤسسات الفساد، كالمقاهي والحانات وغيرها، وأكد أن الأسرة هي أساس المجتمع، والشريعة تعطي كل ذي حق حقه، فإذا تمسك المجتمع المسلم بدينه وتعاليمه وصل إلى الحضارة والتقدم، وبهذا كون الرد السليم على معسكر الكفر والفرنجة الذين ادعوا أن الدين هو العائق في طريق تحضر المسلمين. وقد أثبت رفضه للقوميات التي تؤدي إلى الفتنة والضعف، ولا يستفيد منها إلا الأعداء، وكان يدعو إلى عدم اليأس من رحمة الله.

ويسجل د. محمد عبد اللطيف هريدي النجاح الذي حققه محمد عاكف في عرض أفكاره دون تكلف، منطلقا من أصالته، وتمسكه بأوزان العروض التي ما زال يطرب لها كل تركي وهو يتغنى بنشيد الاستقلال إلى يومنا هذا، وقد اعتمد أسلوب الحوار، وألبس أدبه الثوب القصصي، ولم يخش إظهار تأثره بالفارسية والعربية، واعتزازه بسهولة ألفاظه، وقرب معانيه، فكانت ميزة أسلوبه السلاسة والجزالة معًا.

وصل في الفصل الخامس إلى (**أدب المقاومة**)، وقد بدا الناس يتحسسون الخطر، حيث استمر مسلسل الهزائم على أطراف الدولة، ووصل أعداء الله إلى إستانبول، ورأى المتفرنجون أوروبا على حقيقتها... وكان لا بد للأدباء من دور في كل إنتاجهم الأدبي الذي واكب كل ذلك من خلال:

❖ التذكير بالفتوحات العثمانية، رفعا للروح المعنوية.
❖ أناشيد الحرب التي تستفز الهمم وتثير الحماسة.
❖ الإشادة بالبطولات والشهداء.

وعرض نماذج للشعراء الأتراك مثل: محمد أمين، ومحمد جلال، ومحمد عاكف، والروائي (يعقوب قدري قره عثمان أوغلو، الذي عبر عن مشاعر المتفرنجين بعد دخول الكافر الأوروبي إلى بلادهم بقوله: (كان أعظم درس لقنته إياي الحياة حينما رأيت الحضارة الغربية بوجهها السافر، تلك الحضارة التي عشت ردحا من الزمن أتغذى ثقافتها، فأصابتني صدمة كبيرة، وتفتحت عيني على حقائق أخرى... تحمل كل معاني الوحشية الغربية..).

واعتبر أجمل النماذج الأدبية التي أهدتها حروب الاستقلال إلى الشعر التركي هو: (نشيد الاستقلال) (استقلال مارشي)، الذي نظمه محمد عاكف، على العروض العربي، بموسيقاه القابلة للتغني، والذي ما تزال الأفواه التركية تترنم به، خاصة وأن كاتبه عاش مع المجاهدين، متنقلا بين جبهاتهم، وأحس مشاعرهم، عاش معاناتهم، وتذوق حلاوة انتصاراتهم.

عودة الوعي الإسلامي للأدب المعاصر

وكتب عنوان الباب الخامس: (عودة الوعي الإسلامي للأدب المعاصر)، وجعله في خمسة فصول. وضح في الفصل الأول: (**حركة الوعي الإسلامي في مجال السياسة**)، وتتبع الحركة السياسية في تركيا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وإنهاء الخلافة، بإجلاء السلطان وحيد الدين عن البلاد، ومحاولات عزل تركيا عن العالم الإسلامي وضمها إلى أوروبا، وتهيئة الظروف لتيارات التغريب المادية الإلحادية.

لقد عبر أحد أعضاء مجلس الأمة عن شعور المسلمين تجاه التغريب بقوله: (لم يأت هذا الجديد إلا بالانحلال الخلقي، وإيذاء المشاعر الإسلامية) (ص٢٤٩)، ومن أشهر حركات المعارضة لهذا التغريب: (دعوة النورسية) التي قادها الشيخ: (بديع الزمان سعيد النورسي) سنة ١٢٩٠ هـ - ١٣٨٠ هـ، وقد سجن عدة مرات، واعتمد على الرسائل العلمية في توعية الناس، على طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وظل الحكام يعادون التيار الإسلامي إلى أن فاز الحزب الديمقراطي سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م، حيث وقف أحد مسؤوليه، وهو (عدنان مندريس) ليقول في إحدى خطبه: (هذه البلاد مسلمة وستظل مسلمة، وستنفذ كل التعاليم الإسلامية) (ص٢٥٠).

وعرض في الفصل الثاني (**المذاهب المادية في الأدب وردود الفعل**) ووضح الأضرار التي لحقت بالعلاقات الاجتماعية والمادية بين الناس، بسبب أفكار هؤلاء القوم الذين جعلوا النظرة المادية أساس كل الحركة السياسية والاجتماعية والأخلاقية،

ومن أدبائهم: (ناظم حكمت، وأورخان كمال، وأورخان ولي قانيق) لكن ظلت روح الإسلام تدب بين السطور، لأن جذورها في أعماق القلوب، ولم تخل الساحة التركية من شاعر مثل (يحيى كمال بياتلي) الذي دار شعره بصفة عامة حول محور واحد هو التاريخ المجيد للدولة العثمانية. (ص ٢٥٧)، في القوالب الشعرية القديمة، وعلى أوزان العروض، مفتخرا بانتمائه إلى الأمة الإسلامية شعرا ونثرا، في مثل قوله: (إن الذكريات الإسلامية هي التي تجمع بيننا حتى الآن، وهي التي جعلتنا أمة) (ص ٢٦٠)، ومثله الروائية (سامحة آي ويردي)، التي ظلت تؤكد في رواياتها على أهمية الوحدة الإسلامية.

وجعل الفصل الثالث للحديث عن (**الفكر الإسلامي عند نجيب فاضل**)، وعرض كثيرا من نماذج شعره في مراحل حياته المختلفة، التي كان نور الإسلام فيها هاديا، وحلاً لكل الأزمات التي ما كانت إلا بسبب ابتعاد الناس عن تعاليم الإسلام، فدافع عن الشخصيات الإسلامية، وهاجم من أساؤوا إلى الإسلام، ووصفهم بالأبطال المزيفين، ودعا الشباب إلى العودة للإيمان، ووضح موقف الدين من العمل، والأحكام الشرعية التي تنظمه، وهاجم البدع المنطلقة من الشعوذة أو التغريب، وتحدث عن محاسبة النفس، والأصالة في الأدب، والحياة الاجتماعية، وقد تدرب في مؤسسته الصحفية عدد من الشباب، ساروا على دربه، وأصدروا مجلات إسلامية، مثل: (مجلة Islam) التي أصدرها: صالح أوزجان سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥٠ م، ومجلة (الفكر الإسلامي)، التي أصدرها: (إحسان باب عالي سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م) ومجلة (البعث) التي أصدرها: (سزائي قراقوج سنة ١٣٨٠ هـ) ومجلة (أدبيات) التي أصدرها (نوري باكريل سنة ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م). وكلهم كان يعتبر نجيب فاضل أستاذه ونموذجه الذي يقتدي به، وأن (مصادر إلهامه تحمل كل الخصائص والروابط الحضارية، التي تجعل من أدبنا أدب أمة عن جدارة) (ص٢٨١).

نجيب فاضل

وجاء الفصل الرابع ليتحدث عن (**حركة المد الإسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري**)، ووضح الاتجاه الإسلامي في الثقافة والتربية، وظهور المدارس الدينية، والمعاهد والكليات، وإقبال الشباب عليها، ونشطت دور النشر في إصدار الكتب الإسلامية، وظهر عهد الجماعات الأدبية، ومنها: (جماعة البعث الإسلامية) وشاعرها (سزائي قراقوج) الذي كتب عن التكوين الاقتصادي للمجتمع الإسلامي، والحضارة الإسلامية والاتجاهات المادية، وتفاؤل المؤمن. ومنها (جماعة أدبيات) الإسلامية، التي مثلت الاتجاه الإسلامي الحديث في القصة والمسرحية، وجعلته إنتاجا عقائديا، وكان رائدهم (نوري باكريل) الذي ولد ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م، وتركز إنتاجه حول: الذات الحضارية والتواصل بين الشعوب الإسلامية، العبادات في الإسلام، ومجابهة المذاهب الهدامة، والإيمان هو الخلاص، وكأنه يضع النص والمعنى لشعار الإسلاميين في العصر الحديث (الإسلام هو الحل).

ومنها جماعة (ماورا) التي كان أهم سمات إنتاجها: زيادة الإحساس بالاغتراب في مجتمع طغت عليه المادية، والنبرة الحماسية العالية، والتفاؤل والأمل في الأجيال القادمة، والاهتمام بالأبحاث والمناقشات الأدبية. وأهم شعرائها: (أردم بايزيد) الذي ولد ١٣٥٩ هـ، ومحمد عاكف إينان ١٩٤٠ م، الذي تميز شعره بتتابع الصور، متأثرا بشعر امرئ القيس، كما صرح بذلك، والتزامه بالأشكال التقليدية، والأوزان العروضية، وقد تميز إنتاج هؤلاء الرواد بـ:

١ - استلهام القرآن الكريم والسيرة النبوية، والوجدان الجمعي، المتمثل في القيم الإسلامية والتاريخ الإسلامي.
٢ - احترام التراث.
٣ - الالتزام بالأشكال التقليدية في الشعر.
٤ - التواصل بين بلدان العالم الإسلامي المعاصر.
٥ - الفهم الشامل لقضايا العصر الحديث، وربطها بالحلول الإيمانية.
٦ - غنائية وشفافية تنبعان من روحانية الدين.

وكان واضحا التزامه بذكر المراجع التي استقى منها في كل صفحة من كتابه، بأسلوب علمي موثق، يدل على صحة المعطيات التي اعتمدها في دراسته، ووصل من خلالها إلى نتائج البحث التي أرادها. وأثبت أن الأدب التركي رغم كل عواصف التغريب والتغيير، ظل مرتبطا بالإسلام، منطلقا منه، فهو أدب إسلامي، عبر عن آمال المسلمين وآلامهم، من خلال تعبيره عن آمال المسلم في تركيا وآلامه، حيث الجزء يرتبط بالكل ويدل عليه. ■